مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد العاشر – أيلول – 2024 / September

منهج الفهم الفقهي الإبستيمي عند ابن رشد الحفيد

د.رزاق مخور داود الغراوي [1]

[1] قسم القانون جامعة الامام جعفر الصادق ع – العراق

Razzaq.algharrawi@uokufa.edu.iq

ملخص. يهدف البحث الحالي الى تبيان وفهم المنهج الابستيمي، وعرض منهجية ابن رشد الحفيد واسلوبه الابستيمي في فهم الفقه وأحكامه، فضلاً عن ذلك عرض أهمية المنهج الابستيمي عند ابن رشد الحفيد وتأثيره على تطور المناهج العلمية المستخدمة في فهم الفقه. باستخدام المنهج التحليلي والمنهج الاستدلالي. وأثبت إمكان الاستفادة من شكل لا يؤثر في المضمون الإسلامي، فعلى الرغم من "استعانته بمعارفه في الفلسفة وخصوصا في جانبها الأخلاقي بقي وفيا لمقاصد الشرع باعتماده منهج الاستقراء لنصوصه فملأ تلك القوالب المستفادة بمضامين شرعية.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الفقه، الابستيمي.

Abstract. The current research aims to clarify and understand the epistemic approach and present Ibn Rushd al-Hafid (the grandson) methodology and his epistemic method in understanding jurisprudence and its rulings. In addition, it presents the importance of the epistemic method according to Ibn Rushd al-Hafid (the grandson), and its impact on the development of scientific methods used in understanding jurisprudence**.** Using the analytical method and the deductive method**.** The research reached results, the most important of which are: The divisions and arrangements used by Ibn

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

Rushd al-Hafid (the grandson) in his book "The Beginning of the Mujtahid and the End of al-Muqtasid" are characterized by the sublime organization and unity of the methodological context, and the approach to jurisprudential understanding according to Ibn Rushd al-Hafid(the grandson) is also characterized by the ethical and literary style in all sections of jurisprudence. Ibn Rushd also invested his philosophical knowledge in understanding the secrets of the Sharia, and then worked to renew its formulation, and proved the possibility of benefiting from a form that does not affect the Islamic content. Despite "his use of his knowledge in philosophy, especially in its moral aspect, he remained faithful to the purposes of the Sharia by adopting the inductive approach to its texts, so he filled those Learned templates with legal implications.

Keywords: method, jurisprudence, epistemology.

المقدمة

أبدع ابن رشد في المجال الفقهي في كتابه الشهير"بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، وتكاد تكون دوافع المنهج العلمي الرشدي هي دحض وهدم دلائل وأقوال الفرق والمذاهب المذكورة وغيرها لتمكين البراهين اليقينية، وتقليل من سلطان التقليد وإخضاع الأقوال لمحك الوحي والعقل، ويمكن القول بانها "الدوافع" نفسها التي حملته على تأليف بداية المجتهد.

وتتسم الدراسة بالمنهجية الآتية:

أولاً: مشكلة البحث

ان العلوم التي تقوم على الاسلوب المنهجي العلمي تتسم بكونها منضبطة التفكير وسلاسة المعرفة، لذا اهتم الباحثين على اختلاف اختصاصاتهم باختيار وتطوير المنهج الملائم للبحث كلا وفق مجال وطبيعة علمه، وتدور مشكلة البحث الحالي حول منهجية الفهم الفقهي الإبستيمي لأبن رشد الحفيد في ضوء كتابه "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، وتدور التساؤلات الاتية :

1-ما المقصود بالمنهج الابستيمي؟

2-كيف قام ابن رشد بتوظيف المنهج الابستيمي في فهم الفقه؟

3-ما هو تأثير المنهج الابستيمي على التحليل العميق للعلوم الشرعية والدراسات الفقهية المقارنة؟

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ثانياً: هدف البحث

1- تبيان وفهم المنهج الابستيمي.

2- عرض منهجية ابن رشد الحفيد واسلوبه الابستيمي في فهم الفقه واحكامه.

3- عرض اهمية المنهج الابستيمي عند ابن رشد الحفيد وتأثيره على تطور المناهج العلمية المستخدمة في فهم الفقه.

ثالثاً: أهمية البحث

تتضح اهمية البحث من خلال معرفة أهمية وأثر منهج الفهم الابستيمي في اعادة الخطاب الفقهي وفي التسامح والتنوع المعرفي والتوافق بين المنقول والمعقول.

رابعاً: منهج البحث

استخدم البحث المنهج التحليلي الذي يسهم في تفكيك العناصر الأساسية للموضوعات محل البحث، واستخدم البحث أيضاً المنهج الاستدلالي إذ يعرض به الأحكام الشرعية مع ادلتها التفصيلية مع بحث ونقاش علمي إذ طبيعة الفقه الاستدلالي يأخذ في طبيعة الاستدلال الفقهي في مباني البحث.

1. المطلب الأول: مفهوم المنهج الفقهي الابستيمي

ذكر ابن خلدون في مقدمته"بأن السلف لم يكونوا بحاجة الى النظر في الأسانيد لقرب عصرهم وممارسة النقلة وخبرتهم بهم، لكن:لما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم كلها الى صناعة، احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة، فكتبوها فناً قائماً برأسه سموه أصول الفقه ابن خلدون,1967: 455)

وعن المازني أنه قال بأن السبب الذي وضعت له أبواب النحو "أن بنت أبي الأسود قالت له:ما أشد الحر؟ فقال:الحصباء بالرمضاء، قالت:إنما تعجبت من شدته، فقال:أو قد لحن الناس، فأخبر بذلك علياً فأعطاه أصولاً بنى منها وعمل بعده عليها" (الذهبي، 1988: 72)

وتُعنى الإبستيمولوجيا بدراسة مبادئ العلوم، وفرضياتها، ومناهجها، ونتائجها، دراسة انتقادية ترمي إلى تحليل بُناها، وفحص منطقها، وإبراز قيمتها الموضوعية، ووفق هذا المدخل يمكن تعريف العنوان وتفكيكه على المفاتيح الآتية:

أولاً: تعريف المنهج

ثانياً: تعريف الفقه

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ثالثاً: تعريف الابستيمي.

1.1. أولاً: تعريف المنهج

عُرف المنهج على إنه: "محاولة دقيقة ومنظمة ونافذة للتوصل إلى الحلول لمختلف المشكلات التي تواجهها الانسانية وتثير قلق وحيرة الانسان (*Kum,2011;16*)

كما عُرِفَ ايضاً: "مجموعة الاجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث مقدماً لعملية المعرفة، إذ سيقبل عليها من أجل التوصل الى حقيقة المادة التي يستهدفها.(الراغب,1404: 284)

1.2. ثانياً: تعريف الفقه

اختلف العلماء في معنى هذه المفردة وكثرة الأقوال فيها فلغة هي :-

1-مطلق فهم الشيء:. ثم خص به علم الشريعة والعالم به فقيه واختاره علماء اللغة كالراغب الأصفهاني والجوهري والفراهيدي وابن منظور (أبن منظور :13).

2-الفهم الخاص الدقيق لا مطلق الفهم واختاره الأديب اللغوي أبو هلال العسكري وقال هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله دون غيره، ولا يستعمل إلا على معنى الكلام .(العسكري، 412:1412)

3-الفقه بمعنى البصيرة في الدين ومنه قوله تعالى﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وذهب إلى هذا الرأي المازندراني في شرحه أصول الكافي (المازندراني,1081 :349)

4-فن الصلاح والإنصاف كما اختاره سلوس الرومي . (الجناتي,1415: 111)

وتشترك هذه التعريفات اللغوية للفقه بأنها وضعت للفهم والعلم وبعضها خص بالبصيرة في الدين، وبالاستعمال في الفهم الخاص للحكم الشرعي شاع وانتشر حتى عرف بذلك.

أما الفقه اصطلاحا:بعد أن خصص المعنى اللغوي للمفردة في فهم الحكم الشرعي تحددت اصطلاحا حتى عرفها الفقهاء بقولهم:(جملة من العلم بأحكام شرعية عملية مستدل على أعيانها) (الحلي,676هـ: 47) وعرفها العلامة الحلي :(بالعلم بالأحكام الشرعية الفرعية مستندا إلى الأدلة التفصيلية) (الحلي , 1412: 22). وهو التعريف المشهور وقريب من ذلك عند الشهيد الصدر بقوله:(علم استنباط الأحكام الشرعية أو علم عملية الاستنباط بتعبير آخر) (الصدر,1400: 236) وغيرها وحصيلتها تشير إلى ذلك الجهد والبحث حول استكشاف الحكم الإلهي، فتكون النتيجة أن البحث الفقهي هو المحاولة العلمية البرهانية لعرض الوقائع والأفعال على مرجعيات النص والإجماع والعقل ومقدرة الفقيه في الوصول

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

إلى(الوصف الشرعي لها) وبالتالي تبيان الحكم وفق الموازين العلمية لكل مذهب، ومن خلال هذه المحاولة يأخذ المجتهد الأحكام وقواعدها التي يستنبطها من الأدلة الشرعية ويبينها للمقلد العامي دون بحث الأخير عن الدليل .

1.3. ثالثاً: تعريف الابستيمي

2 .المطلب الثاني: منهج الفهم الإبستيمي في إعادة نُظم الخطاب الفقهي

أن في قوة هذا الكتاب أن يبلغ به الإنسان كما قلنا رتبة الاجتهاد إذا تقدم فعلم من اللغة العربية وعلم من أصول الفقه ما يكفيه في ذلك، ولذلك رأينا أن أخص الأسماء بهذا الكتاب أن نسميه بداية المجتهد وكفاية المقتصد .

ان النص الوارد مع تطبيقاته في كتاب البداية لابن رشد كان المنطلق والبذرة التأسيسية لمشروعه المنهجي في إعادة فهم التلقي للفقه وتطوير ادوات الاستنباط وتوسيع مباني الاستدلال وتجاوز مرحلة التقليد التي استحكمت في المجتمع المسلم، فهو على العموم يعتبر حسب مراحله التأريخية كتاباً تجديدياً ساهم الى درجة كبيرة في تطوير الفكر العلمي المنهجي، ومن خلال هذا الكم الهائل في المعرفة نختزل إبراز القضايا التي يتضمنها النص وكالآتي:

أ . البحث في أصول العلل ومعرفة مدى ارتباطها بمسائل الخلاف بين الفقهاء، لفتح باب الاجتهاد لمحصليه وتجاوز التقليد، اذ ان هذا الكتاب ليس"كتاب فروع وإنما هو كتاب أصول فالسبب العلمي والنفسي من تأليف البداية هو إعادة القراءة في منهج الفهم الفقهي الذي غلب عليه التفريع وغاب عنه النظر في"تحصيل الأصول"، وهو واقع حال تناوب عليه الاجيال في البيئات المغلقة والمقلدة في ذلك الزمان. (الحفي, 1930:152)

ب . ركز ابن رشد على بناء العقل الفقهي والارتقاء به الى مستوى النظر الصناعي لا احصاء الفروع، إذ قال"المسائل الضابطة للشريعة، لا إحصاء الفروع، لأن ذلك غير منحصر وذلك حتى تكون هذه الضوابط "كالقانون في نفس الفقه" من جهة، "والقانون للمجتهد النظار من جهة أخرى في إطار، ... رد الفروع إلى الأصول .

فالكتاب في مقاصده يتوخى النظر في المناهج الفقهية وذلك من أجل تشكيل العقل الفقهي، والارتقاء به إلى مستوى "النظر الصناعي" لأن تحصيل الأصول يعطي الفقيه القدرة على الاجتهاد في النوازل المسكوت عنها، بخلاف الاقتصاد على حفظ الفروع فإنه لا يمنح صاحبه رتبة الاجتهاد، وفي هذا

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الإطار ينتقد ابن رشد منهج أصحاب الفروع من فقهاء عصره، ويقارن بين المنهج الذي يدعو إليه ومنهجهم ويبين فضل طريقته وميزتها في تشكيل العقل الفقهي (معصر,1981 : 33) يرى ابن رشد "إن هذا الكتاب إنما وضعناه ليبلغ به المجتهد في هذه الصناعة رتبة الاجتهاد إذا حصل ما يجب له أن يحصل قبله من القدر الكافي له في علم النحو واللغة وصناعة أصول الفقه، ويكفي من ذلك ما هو مساو لجرم هذا الكتاب أو أقل، وبهذه الرتبة يسمى فقيها لا يحفظ مسائل الفقه ولو بلغت في العدد أقصى ما يمكن أن يحفظه إنسان كما نجد متفقهة زماننا يظنون أن الأفقه هو الذي حفظ مسائل أكثر وهؤلاء عرض لهم شبيه ما يعرض لمن ظن أن الخفاف هو الذي عنده خفاف كثيرة، لا الذي يقدر على عملها، وهو بين أن الذي عنده خفاف كثيرة سيأتيه إنسان بقدم لا يجد في خفافه ما يصلح لقدمه فيلجأ إلى صانع الخفاف ضرورة، وهو الذي يصنع لكل قدم خفا يوافقه فهذا هو مثال أكثر المتفقهة في هذا الوقت .

ج . الدعوة إلى هيكلة وترتيب وتنظيم منهجية الفهم الفقهي، وتجديد منهج التأليف والتصنيف والتدوين، ليُسهل على سالك المعرفة الفقهية التمرس والتدريب والتطبيق على تنظيم ومنهجة الأفكار وربط الفروع بالأصول، يرى الحفيد الرشدي في التنظيم الصناعي الاستنباطي ما نصه: "فإذا أريد أن يكون القول في هذه صناعي وجاريا على نظام فيجب أن يقال أولا فيما تشترك فيه هذه كلها ثم يقال فيما يخص واحدة منها أو يقال في واحدة واحدة منها وهو الأسهل, ورغم شعوره بأن هذه الطريقة فيها تكرار إلا أنه يبرر اتباعها بسلوك الفقهاء له

د . يرى ان الفقه فن من الفنون المعرفية وصناعة من الصناعات المنهجية وهذا الفن أو الصناعة لابد أن تكون مبنية على الفهم المنهجي (عبد الرحمن، 1013 233)ومن هنا سيطرح ما هو اجنبي من الفقه، وهو ما حفلت به كتب الفقهاء والعلماء في مختلف اتجاهاتهم، كما ان دعوته الى تنظيم الكتب والمسائل الفقهية وفق منهجية معرفية مرتبة، إذ يقول"وإن أنسأ الله في العمر فسنضع كتابا في الفروع على مذهب مالك ابن أنس مرتبا ترتيبا صناعيا إذا كان المذهب المعمول به في هذه الجزيرة التي هي جزيرة الأندلس حتى يكون به القارئ مجتهدا في مذهب مالك لأن إحصاء جميع الروايات عندي شيء ينقطع العمر دونه"

ويضرب مثل حول طرح ما هو اجنبي في مسألة اختلاف الفقهاء هل من شروط وجوب الوضوء الإسلام أم لا، يقول "وهي مسألة قليلة الغناء في الفقه لأنها راجعة إلى الحكم الأخروي"

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وفي مسألة لبن الميتة يقول "ولا لبن للميتة إن وجد لها إلا باشتراك الاسم، ويكاد أن تكون مسألة غير واقعة فلا يكون لها وجود إلا في القول

أن الرشدي الحفيد يذكر في البعض من الكتب الفقهية إلى الخلل المنهجي في الفهم الفقهي، مما يستدعي إعادة إدراج وترتيب المسائل في أبوابها بشكل منهجي، إذ يصرح: "والقول في القسامة هو داخل فيما تثبت به الدماء، وهو في الحقيقية جزء من كتاب الأقضية، ولكن ذكرناه هنا على عادتهم، وذلك أنه إذا ورد قضاء خاص بجنس من أجناس الأمور الشرعية رأوا أن الأولى أن يذكر من ذلك الجنس، وأما القضاء الذي يعمر أكثر من جنس واحد من أجناس الأشياء التي يقع فيها القضاء فيذكر في كتاب الأقضية، وقد تجدهم يفعلون الأمرين جميعا كما فعل مالك في الموطأ، فإنه ساق فيه الأقضية من كل كتاب"

هـ –ورغم وجود هذه التطبيقات في كتاب بداية المجتهد إلا أن هذا يدفعنا للتساؤل عن الأسباب التي جعلت ابن رشد يقتصر على التنصيص على علمي اللغة والأصول دون غيرهما من الشروط المعرفية التي يتطلبها المجتهد.(محمد,2007: 186) .

المحور الثاني: منهج الفهم الابستيمي في التسامح والتنوع المعرفي

إلا إن التسامح المعرفي والفقهي والأخلاقي يكاد يكون الميزة الواضحة في كتابه (بداية المجتهد)، فهو لم يمس مذهب أو فرقة إسلامية في كتاباته، بل إستعمل لغة الاعتدال والوسطية مع جميع أقرانه من الفقهاء والعلماء، وهذا ما شفع له، برد الإشكال والقيد على المؤاخذة والاعتبار اللاهوتي والآيدولوجي، كما أسلفنا، لذا يعد ابن رشد من رواد المسيرة الوسطية بين فقهاء المذاهب الإسلامية. (يحيى، 2017: 33)

المحور الرابع: منهج الفهم الإبستيمي في بناء اللغة الفقهية

اعتمد ابن رشد في تركيب خطابه الفقهي على مجموعة من الثنائيات شكلت أساسا متينا في بناء لغته الفقهية، كما شكلت قطبا معرفيا لتحليل ودراسة بنية النسق الفقهي أفقيا وعموديا.

وهذه الثنائيات يمكن تقسيمها باعتبارات متعددة:(دالين، 2007: 44)

1. باعتبار(نسبتها إلى الشارع: فهي مسموع ومنقول ومنطوق به، أما باعتبار عدم نص الشارع عليها فهي مسكوت) عنه.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

2. باعتبار(قوة الاستدلال فيها: فهي تنقسم إلى قسمين: قسم يحمل طابع القطع واليقين،) وقسم يقع في دائرة الظن والاحتمال.
3. باعتبار الناظرين في الأدلة: فهناك المتقدمين والمتأخرين، ولكل فئة خصائص معينة في الفعل الاجتهادي.
4. باعتبار (إدراك علة التشريع: فهناك الحكم المعقول المعنى والحكم غير المعقول المعنى) أو العبادي والمصلحي.
5. باعتبار (خضوعها للتجربة أو عدمه، وفي هذا الإطار تراعى الأحكام المتعلقة بهذه القضايا لاختلاف التجربة) أو العادة..

أما (القواعد الكبرى التي تحكم هذا البناء فتتكون من الأصول التالية):

أ . (الأثر: بالإضافة إلى شروط الصحة التي يتطلب في هذا المجال، فإن هناك قواعد تحكم سلامة الاستدلال في هذا المجال التداولي) عند ابن رشد وأهم القواعد هي:

- اتساق الشاهد(أو كفايته في موطن الحكم، فكل حديث ليس بوارد في الغرض الذي يحتج فيه به،)فالاحتجاج به ضعيف.
- تغليب السماع على القياس، وفي هذا المجال لا يصح أن تعارض النصوص بالمقاييس.
- (اعتبار أن الجمع أولى من الترجيح، ويترتب عن هذه القاعدة أن الأفعال المختلفة أولى أن تحمل على التغيير) منها على التعارض

ب . النظر: ويتكون من جملة القواعد الأصولية التي تستخدم في تفسير النصوص، ويدخل فيها القياس. (المازندراني,2015: 24)

الخاتمة:

يهدف البحث الحالي الى تبيان وفهم المنهج الابستيمي، وعرض منهجية ابن رشد الحفيد واسلوبه الابستيمي في فهم الفقه وأحكامه، فضلاً عن ذلك عرض أهمية المنهج الابستيمي عند ابن رشد الحفيد وتأثيره على تطور المناهج العلمية المستخدمة في فهم الفقه.

وتوصل البحث إلى نتائج الآتية:

1. استعمل ابن رشد الحفيد في كتابه بتقسيم ساده التنظيم الممنهج

2. يتسم منهج الفهم الفقهي عند ابن رشد الحفيد على الاسلوب الاخلاقي والادبي في جميع أبواب الفقه.
3. أن ابن رشد وظف جميع معارفه الفلسفية في فهم أسرار الشريعة وتطوير صياغتها، وبالامكان الاستفادة منها في المحتوي الإسلامي، .
4. تميز بالعدالة في التعامل مع الجميع من خلال معارفه وخبراته من خلال امتلاكه الروح المعنوية العالية والخبرات المتراكمة

المصادر

القرآن الكريم
[1] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (1967)، المقدمة (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. ط3.مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني بيروت.
[2] الذهبي، شمس الدين، (1988م).سير اعلام النبلاء، ج4، ط1، دار الهجرة، دمشق.
[3] ديوبولد ب.، فان دالين، (2007م)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل، مكتبة الأنجو المصرية، القاهرة.
[4] حسين سعد، (2006)، الاصولية الاسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير، مركز دراسات الوحدة العربية.
[5] الأصفهاني، الراغب، (1404هـ)، المفردات في غريب القرآن، ط1.دار المعرفة.
[6] الجواهري، إسماعيل بن حماد (1407هـ) صحاح اللغة، ط4. دار العلم للملايين، بيروت.
[7] الفراهيدي، الخليل بن أحمد(1409هـ)، كتاب العين، ط2المطبعة:صدر .مؤسسة دار الهجرة، دمشق.
[8] ابن منظور، جمال الدين، (2016م)، لسان العرب، دار المعارف، بيروت.
[9] العسكري، أبو هلال (1412هـ).معجم الفروق اللغوية، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
[10] المازندراني، محمد صالح (2015م)، شرح أصول الكافي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
[11] المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، (2014م)، معارج الأصول، مطبعة العارف، بيروت.
[12] الحسن بن يوسف، العلامة الحلي، (1412هـ)منتهى المطلب في تحقيق المذهب، الأستانة

الرضوية المقدسة . مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران.

[13] الصدر، محمد باقر، (1400 ه)، دروس في علم الأصول.مؤسسة النشر الإسلامي.

[14] عبد الرحمن، طه، (1994)، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط1.المركز الثقافي العربي، بيروت.

[15] محمد، يحيى(2017)، المنهج في فهم الاسلام من التفكير المذهبي الى التفكير المنهجي، العارف، بيروت.

[16] ابن رشد، أبو الوليد محمد بن احمد(1416ه)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط1. تحقيق:عبد الله العبادي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد.

[17] ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن احمد(2019)، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، دار السلام، بغداد.

[18] الجناتي، محمد إبراهيم معاصر (1415ه)، "الفقه تطوره ومراحله"، مجلة الفكر الإسلامي التخصصي، العدد الخامس – السنة الثانية، ربيع الأول، بيروت.

[19] معصر، عبد الله(2000)، " الخطاب الفقهي عند ابن رشد بين التحصيل والتأصيل"، مجلة فكر ونقد، العدد32 – المغرب.

[20] بولوز، محمد، (2007م)، "بداية المجتهد وكفاية المقتصد ودوره في تربية ملكة الاجتهاداطروحة دكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية/فاس، المغرب.

[21] Ranjit Kum,(2011).Research Methodology, Sage Publications Ltd, London.